أسماءٌ كثيرةٌ عرفها العالم من روّاد الأطبّاء العرب، من أشهرهم: حُنين بن إسحاق صاحب كتاب (عشر مقالات في العين)، وقسطا بن لوقا البعلبكيّ مؤلف كتاب (رسالة في تدبير سفر الحجّ)، والرازيّ مؤلف كتاب (الحاوي في الطبّ)، وهو مكتشف الفرق بين الحصبة والجُدَريّ. وكذلك عرف العالم أبا القاسم الزهراويّ الأندلسيّ مؤلف كتاب (التّصريف لمن عجز عن التّاليف). وفي مجال الصّيدلة وعلم الأدوية يعدّ ابن البَيْطار شيخَ الصَّيادلة المسلمين من خلال كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية). كما اعتنى أبو الرّيحان البيرونيّ بالصّيدلة والطبّ ضمن اهتماماته المتشعّبة، ووضع كتابًا موسوعيًّا عنوانه (الصّيدلة في الطبّ).

وفي القرن الخامس الهجريّ بلغ الطبّ العربيّ نضجه بما بلغه ابن سينا من شهرة من خلال كتابه الشهير (القانون في الطبّ)، وبلغ الكتاب شهرة واسعة، ولم ينل أيُّ كتاب طبي من العناية ما لقيه هذا الكتاب، فكان من أوائل الكتب العلميّة التي لاقت الاهتمام في الشرق والغرب، فترجم وطبع بمختلف اللغات، وظل مرجعًا لدراسة الطبّ في كثير من المعاهد الأوروبيّة حتى القرن السّابع عشر الميلاديّ. وهو اليوم من أمّهات الكتب في دراسة تاريخ الطبّ في العصر الوسيط.

أمّا المستشفى فقد كان يسمى قديمًا: (البيمارستان) ، وهي كلمة دخيلة عن اللغة الفارسيّة، ولعلّ أقدم (بيمارستان) هو الذي أنشئ في أيّام هارون الرّشيد، ثم كثرت المستشفيات وجُمع فيها بين التّعليم والتّدريب والعلاج، كما عرف العرب عددًا من التّخصصات الطبيّة؛ كالجرّاحة، وطب العيون، والطبّ الباطنيّ وغيرها. وتمكّن الطّبيب ابن النّفيس من اكتشاف الدّورة الدمويّة الصغرى؛ نتيجة لتعليل منطقيّ عقليّ من دون الاعتماد على التّشريح. فقد تأخّرت ممارسة التّشريح لأسباب تتعلّق بحرمة الجسد الإنسانيّ واحترامه، ولتأخّر الفقهاء في تفهّم أهميّة التّشريح، والسّماح بممارسته، والإفتاء بجواز لجوء الطّبيب إليه.

وكان القائمون على (البيمارستان) فيهم الطبيبُ، والكحّالُ، والجرّاحُ، والصيدليُّ، والممرّضُ، والمعاونُ وغير ذلك من وظائفَ لازمة، أي أنّه كان مؤسّسةً طبيّةً متكاملةً لها دورُها في تطوير الطبّ وخدمة المرضى، وأكثر المؤلفات في الطبّ والصّيدلة وُضِعت في أجواء هذه المؤسسات وبأقلام أطباءَ وصيادلةٍ جمعوا بين العمل والعلم والإيمان، فكانوا روّادًا في مجال الطبّ العمليّ.

أما (اليبروديّ) فطبيب وصيدلانيّ شاميّ مشهور، نُسِب إلى ضيعة قريبة من مدينة دمشق اسمها (يبرود)، وقد روى قصّة طريفة عن بدء تعلّمه وولعه بالطبّ، حتى برع فيه فيما بعد. قال: "كنت في صباي أحمل الشّيح من ضيعتي (يبرود)، وأبيعه في دمشق. وكنت يومًا أقود دابّتي وعليها حِمْلُها من الشّيح، فمررت بالفاصد أبي الخير وقد فصد شابًّا، فوقعت الفصْدةُ في الشّريان،

وطلب قطع الدم فلم يقدر على ذلك، فلما رأيته على تلك الحال أشرتُ عليه بأن يفصِدَه في اليد الأخرى ويسدَّ الفصد الأوّل، ثم يعود للثاني فيسدَّه، ففعل ووقف الدم.

فتشبّث بي أبو الخير وسألني عما أمرتُه به، فأخبرته أنّني أرى أبي في وقت سقي الكرْم، إذا انفتح شِقّ من النهر وخرج منه الماء، لا يقدر على إمساكه حتى يفتحَ شِقّاً آخرَ يُنقِص به الماءَ الأوّل الواصلَ إلى ذلك الشقّ، ثم يسدُّه بعد ذلك. فلما سمع أبو الخير ذلك منعني من بيع الشّيح، وعلّمني صناعة الطبّ، فتبصّرتُ بأشياءَ منه، وصارت لي معرفة بالقوانين العلمية".

(نقولا زيادة، إيقاع على أوتار الزمن، كتاب العربيّ، 2002، ص185، بتصرّف)

إضاءة

نقولا زيادة : تعريف موجز

نقولا زيادة (1907–2006): أستاذ جامعيّ، ومؤرّخ، وأديب عربي مشهور، من مواليد دمشق عام 1907 لأبوين من مدينة الناصرة–فلسطين. درس في دمشق وفلسطين، وأكمل دراسته في الكلية العربية في القدس، ثم انتقل إلى لندن حتى حصل على الدكتوراه في التاريخ والحضارة عام 1950م. عمل أستاذا في الجامعة الأمريكية في بيروت، وفي جامعات عربية وعالمية. ألف أكثر من أربعين كتاباً، وواظب على الكتابة في الصحف والمجلات لعقود طويلة، مؤمناً بأهمية تقديم الثقافة والمعرفة لجميع الناس، من خلال الوسائل الإعلامية المتاحة.

وبُعيد رحيله نظّمت مؤسسة عبد الحميد شومان (الأردن) ندوة علمية لتكريم المؤرّخ الراحل بإشراف المؤرخ الأردني محمد عدنان البخيت، ونشرت أعمالها وأوراقها في كتاب مرجعي هام بعنوان: (نقولا زيادة في ميزان التاريخ).

التّدريب الأوّل: زوّدنا المقال بمعلومات قيّمة عن تاريخ الطبّ عند العرب، ومن ذلك ما ورد فيه من عناوين الكتب التي ألّفها الأطبّاء والصّيادلة العرب. عدْ إلى نص المقال واكتب أسماء مؤلفات الأطبّاء والصّيادلة المذكورين:

الطّبيب/المؤلّف	اسم الكتاب
حنين بن إسحاق	
قسطا بن لوقا البعلبكيّ	
ابن البَيْطار	
أبو بكر الرازيّ	
ابن سينا	
أبو القاسم الزّهراويّ	
أبو الرّيحان البيرونيّ	

التّدريب الثّاني: التعريف بأحد الأطبّاء العرب:

يعدّ كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء) لابن أبي أُصَيبعة، كتابًا متخصّصًا في التّعريف بالأطبّاء العرب والمسلمين، كما يعرّف بأطبّاء الحضارات الأخرى: اليونانيّة، والفارسيّة، والهنديّة، والسريانيّة..

وعرّف في الكتاب بما يزيد على 400 طبيب وحكيم من العرب والمسلمين، أو من الحضارات التي تأثروا بها، وأفادوا منها، من أطبّاء اليونان، والرومان، والهند، وبلاد فارس، وأطبّاء السّريان.

عد إلى الكتاب واختر منه تعريفًا بأحد الأطبّاء. اقرأ التّعريف جيّدًا واستوعب الأفكار والمعلومات الواردة فيه، ثمّ لخّص المادّة واختصرها محافظًا على أهمّ المعلومات المتعلّقة بالطّبيب أو الصيدليّ الذي اخترته.

التّدريب الثّالث: تعديل الصّياغة من المتكلّم إلى الغائب:

القصّة الطّريفة التي رواها البيروديّ جاءت بضمير المتكلّم، لو أردنا أن نرويَها بضمير الغائب، كيف يمكن أن نصوغها؟ أهمّ التغييرات ستلحق بالضّمائر حتّى تتبدل من المتكلّم إلى الغائب، حاول أن تكتب الفقرة بصيغتها الجديدة وحدك، ثم اقرأها مع زملائك:

"كان البيروديّ في صباه يحملُ الشّيحَ من ضيعته (بيرود)، ويبيعُه في (دمشق)

.....

.....

.....

.....

.....

من ألفاظ الحضارة والطب والحياة العامة:

زوّدتنا المقالة بمجموعة من الألفاظ الحضارية التي تداولها العرب منذ القديم، وأكثرها ما زال مستعملاً إلى اليوم. ومنها الألفاظ والمصطلحات الآتية:

الصيدلة

عرّف أبو الريحان البيروني كلمة: الصيدنة (الصيدلة) وصيدناني (صيدلاني)، وذهب أنها معرّبة عن جندل وجندناني، وهما كلمتان هنديتا الأصل، تعبّران عن بائع العطور والأعشاب والأدوية، والقائم بمزجها، وقد قُلبت الجيم في العربية إلى صاد، فصارت صندل، ولكن البيروني فضّل لفظ: الصيدلة في تسمية المهنة، وهو اللفظ الذي ما زلنا نعتمده في العربية حتى اليوم. وتعريف الصيدلاني عنده بأنه: "المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها، واختيار الأجود من أنواعها، مفردة ومركّبة على أفضل التراكيب التي خلّدها مبرّزو أهل الطب".

عقار

أما كلمة عقار وجمعها عقاقير، فذهب أبو الريحان البيروني أن أصلها سرياني تعني الجرثومة، وتعني الدواء القاضي عليها، وقد قسّم العقاقير إلى ثلاثة أنواع: الأدوية، الأغذية، السموم. وكل منها فيه ما هو مفرد وما قد يكون مركّبا. وأن الدواء السمّي يحتاج إلى محترف بارع مجرب حتى يخفّف أثر السم، ويحصل على فائدته للجسم العليل. وعند العرب يسمّى الدواء السمّي تِرياقاً، وكان يؤخذ قديماً من سموم الحيّات والأفاعي.

وفي القانون ونظام الملْكية: عقار وعقارات، وتعني الأراضي والمباني وجميع أنواع الممتلكات الثابتة التي لا يمكن نقلها، وكل ما يرتبط بها من حقوق. وقد تسمّى اليوم في بعض القوانين: (الأموال غير المنقولة) أي الممتلكات التي لا يمكن نقلها، فهي ثابتة في أماكنها.

الترياق:

كلمة معرّبة عن الفارسية منذ القديم، تعني الدواء المضاد للسموم، وهو يستخرج من السموم ذاتها، فيكون دواءً وفق تركيبات طبية دقيقة.

الضيعة:

جمعها ضِياع. وتعني: الأرض المغلّة الزراعية، وقد تعني القرية الزراعية.

الشيح:

نبات عطري عشبي، دقيق الأوراق والأزهار، من الفصيلة النجمية. يعد من النباتات الطبية والعطرية التي استعملت قديما وحديثا في معالجة بعض الأمراض.

بيمارستان:

لفظة طبية معرّبة، أخذها العرب قديماً عن الفارسية، واستعملت اسما لمكان معالجة المرضى (المستشفى)، معناها بالفارسية: محل المريض أو مكانه. فمعناها الحرفي إذن: مكان معدّ لإقامة المرضى ومعالجتهم، تجمع على: (بيمارستانات).

كَرْم:

وجمعها كروم، وهي تعني بستان العنب خاصّة، ومصدر التسمية كما يبدو التفاؤل بطيبة الأرض وجودها ليكون عطاؤها خيّراً.

الفصْد:

الفصْد لغة هو الشقّ. ويقصد بالفصد شق جزء من الجسم لإخراج الدم من شريان أو عرق معين، وهو إجراء طبّي قديم اهتدى إليه الأطباء ومارسوه بكفاءة ودقّة. يسمى من يمارس هذا النوع من التطبيب: فاصد، ومر بنا في المقالة: أبو الخير الفاصد.

التشريح:

إجراء طبي جراحي يقوم على فحص جثّة المتوفّى ومعاينتها، لدراسة تراكيب أجهزة الجسم وبنيتها، وملاحظة أي أمر غير طبيعي فيها، ويشيع استعماله اليوم في الطب الشرعي والجنائي. عرفه اليونان منذ القديم، وعرفه الأطباء المسلمون بعد ذلك، ولكنهم تحرّجوا مدة طويلة من مبدأ الاعتداء على الجسد وتمزيق الجثة، إلى أن أفتى الفقهاء بجواز ذلك للضرورة.

في ضوء فهمك لمعاني الألفاظ الحضاريّة والعلميّة في نصّ القراءة، صُغْ جملاً مفيدة سليمة تظهر معرفتك بتلك الألفاظ وفهمك لمعانيها:

1. الصّيدلة: .....
2. عقار: .....
3. التّرياق: .....
4. الضّيعة: .....
5. الشيح: .....
6. كرْم: .....
7. الفصْد: .....
8. التّشريح: .....

الفهم من خلال الأسئلة القصيرة:

يمكن أن نختبر فهمك للنص من خلال الأسئلة القصيرة الآتية:

السّؤال الأوّل: مكتشف الفرق بين الحصبة والجُدَريّ هو الطّبيب:

أ. ابن سينا ب. الرازيّ ج. ابن البَيْطار د. البيرونيّ

السّؤال الثّاني: "التّشريح" في الطبّ العربيّ القديم:

أ. بدأ مبكّرًا مع بدايات الطبّ العربيّ، لتوفّر أدوات الجراحة.

ب. تأخّر كثيرًا لعدم صناعة أدوات الجراحة مبكّرًا.

ج. لم يمارسه العرب حتّى اليوم احترامًا لجسد الإنسان وجثته.

د. تأخّرت ممارسته بسبب تأخّر الإفتاء الفقهيّ بجواز التّشريح.

السّؤال الثّالث: ينتسب البيرونيّ إلى أحد الأقاليم العربيّة التّالية:

أ. العراق ب. الشّام ج. الأندلس د. مصر

السّؤال الرّابع: (ابن البيطار شيخ الصّيادلة المسلمين)، تعني في ضوء السّياق:

أ. المعلّم والأستاذ الذي تعلّموا منه وأخذوا العلم عنه.

ب.يقتصر معناها على الكبر في السنّ.

ت.الإمام الذي كان يؤمّهم في الصلاة.

ث.الصّيادلة هنا كأنّهم قبيلة أو عائلة وهو زعيمها القبَليّ.

السّؤال الخامس: مكتشف الدّورة الدّموية الصّغرى هو الطّبيب:

أ. ابن سينا ب. الرازي ج. ابن النّفيس د. الزّهراويّ

السّؤال السّادس: كتاب القانون في الطبّ من أمّهات الكتب الطبيّة، معنى أمّهات الكتب:

أ. الكتب القديمة التي فقدت أهميّتها.

ب . المصادر الأصلية التي تولّدت عنها الكتب اللاحقة وأفادت منها.

ج. أمّهات جمع أمّة، فهي كتب عالميّة أو أمميّة.

د. الكتب الحديثة التي تتمثّل قيمتها في حداثة معلوماتها.

السّؤال السّابع: إحدى الوظائف التّالية ليست وظيفة طبيّة:

أ. صناعة الأدوية ب. بيع الشّيح ج . الفصْد د . الجرّاحة

السّؤال الثّامن: أفاد البيروديّ في اقتراحه حول قطع الدّم بعد الفصد من:

أ. خبرته الطبيّة السّابقة، فقد تعلّم الطبّ في قرية بيرود.

ب. خبرته الزراعية والفلاحية، واستنتج طريقة إيقاف الدم من طريقة السّيطرة الماء في الحقل.

ج . قرأ طريقة المعالجة في كتاب طبيّ ثمّ طبّقها على المريض.

د . أخذ طريقة العلاج من أبي الخير الفاصد لخبرته في هذا المجال.

السّؤال التّاسع: عبارة (داوني بالتي كانت هي الدّاء) تنطبق على واحد مما يلي:

أ. الشيح ب. البيمارستان ج. التّرياق د. الفصْد

السّؤال العاشر : أحد الألفاظ التّالية ليس من ألفاظ الطبّ والصّيدلة:

أ. عقارات ب. عقاقير ج. بيمارستان د. تشريح

القضايا اللغويّة التّوابع / النّعت

تُعَرّفُ **التّوابع** بأنّها كلماتٌ لا تقعُ مَوْقِع الأركانِ الأساسيّةِ في الكلامِ، مثلِ المبتدأِ والخبرِ، أو الفعلِ والفاعِل، لذلك لا يقعُ الإعرابُ عليها بذاتها وإنما تُعْرَبُ وَفْقَ إعرابِ ما يسبقها من الألفاظ، ونظرًا لأنّها تتْبعُ في إعرابها الألفاظَ التي تسبِقُها، ولا تستقلُّ بذواتِها في الإعرابِ ضمنَ الكلامِ، سُمّيتْ بالتوابعِ.

والتوابعُ التي سنتناولها أربعة، هي: النّعتُ (الصّفةُ)، والتوكيدُ، والبدلُ، والعطف.

يقسم النعت إلى حقيقيّ وسببيّ

فالنعتُ الحقيقيُ: ما يُبَيّنُ صفة من أوصاف متبوعة مثل: جاء الرجلُ الحليمُ

والنعت السببي: ما يبين صفة من صفات ما يتعلق بمتبوعه أو يرتبط به مثل: جاءَ الرجلُ الحسنُ خطُّهُ. فكلمة الحسن وهي النعت السببي لم تبين صفة الرجل وانما بينت صِفةَ الخطِّ الذي يتعلقُ ويرتبطُ بالرَّجلِ. ويسمى (الرجل) في كلتا الجملتين المتبوعَ –الموصوفَ– أو المنعوتَ ويسمى (الحليمُ والحسنُ) في الجملتين: نعتاً أو صفةُ تابعةُ أو تابعاً .

النعت الحقيقي:

في هذا النوع من النعت يجب أن يَتْبعَ النعتُ الاسمَ المنعوتَ في الإعرابِ، والإفرادِ والتثْنيةِ والجَمْعِ والتذكيرِ والتأنيثِ والتّعريفُ والتنكيرِ مثل: